هل فرط المعلومات يساوي ندرتها في النتيجة؟

•عبداللطيف بن أحمد
ابن محمد آل الشيخ

إن ثورة المعلومات، والتي نلمسها في واقعنا المعاصر، والذي تعد شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) إحدى وسائله تمثل نقطة تحول كبيرة في عالم المعرفة، فعن طريق حواسيب شخصية صغيرة مصحوبة بآلاف الأقراص الليزرية، يمكنك أن تكون على اتصال بآلاف بل ملايين المعلومات، المتوفرة بكلفة زهيدة، ويتساوى في الحصول والوصول إلى تلك المعلومات الجميع، فالعالم الذي يعمل في أغنى مراكز البحوث العلمية وأشهرها عالمياً في أمريكا والصين مثلاً، والتلميذ البسيط في قرية نائية في مجاهل أفريقيا يستطيعان الوصول إلى نفس المعلومة في وقت واحد، وفي أمكنة مختلفة، فلا شك أن هذه ثورة حقيقية تعد معلماً بارزاً من معالم التاريخ الإنساني.

وواقع الأمر أن تلك الثورة لم تؤد إلى ما كان يؤمل منها حتى يومنا هذا، فكثرة المعلومات المتاحة لنا اليوم لم تؤد بالضرورة إلى انتشار المزيد من المعارف بين الأفراد، كما لم تؤد إلى الانفجار المعرفي (وليس المعلوماتي) المتوقع، والفارق كبير بين أن يكون للباحث في مكتبه حاسوب موصول عبر الشبكة المعلوماتية بعدة ملايين من مصادر المعلومات، وبين أن يهضم في عقله عصارة تلك المعلومات، فيصبح عارفاً ومفكراً أصيلاً قادراً على أن يدلو بدلوه في المعارف الإنسانية سواء برأي خبير، أو بإبداع أصيل في أية مسألة من مسائل المعرفة الإنسانية.

ويرى المتعاملون مع تقنية المعلومات الحديثة أن فرط المعلومات يكاد أن يساوي ندرتها في النتيجة والأثر الذي يحدثه، ولتفسير ذلك الرأي دعونا نتأمل.

كان النشر التقليدي بطباعة الكتب وتوزيعها -ولا يزال- عملية مكلفة، تعتمد إلى حد كبير على دور النشر الكبيرة لا على الأفراد، ولم تكن دور النشر تلك تقبل بتبديد أموالها على كتب تتعرض للإهمال والنقد والتجريح، فوضعت مجموعة من الضوابط، من مجلس للأمناء أو المستشارين إلى مراجعين علميين ولغويين، وكل ذلك بهدف إصدار كتاب يتمتع برصانة وجدية وقبول لدى القراء.

أما في الإنترنت فالأمر مختلف، فإذا افترضنا أن شبكة الإنترنت هي دار نشر كبيرة تسمح لكل فرد في العالم أن ينشر ما يشاء، ويوجه خطابه لمن يشاء دون ضبط أو تحكيم أو مرجعية، لوجدنا أهم المقالات وأثمن المصادر الجادة جنباً إلى جنب مع الهزيل والمغلوط والسطحي، وعندما يبحث الباحث بواسطة الإنترنت عن المعلومات التي يحتاج إليها، فإنه يغرق عادة في فيض كبير ومذهل من هذه المعلومات، يعجز خياله عن فرز الصالح عن الطالح، والعميق عن الضحل فإذا تمتع ذلك الباحث بالخبرة وحسن الدراية والاطلاع على موضوعه، سيكون بمنجاة من التأثر بفيض المعلومات السطحية التي ستنهال عليه، وسيعرف كيف يستفيد من تلك التقنية المذهلة ووضعها في خدمة بحثه ولصالح الإسهام في المعارف والفكر الإنساني، أما إذا كان باحثاً لمّا يشتد عوده بعد في عالم البحث والدراسة، أو طالباً جامعياً يفتقد للتوجيه الصحيح، فإن سلاح الإنترنت قد يتحول إلى سم زعاف يقدم له المادة المغلوطة أو المعلومات المسطحة تسطيحاً يفقدها دلالاتها، بل ويخالف مضمونها وروحها.

وفي تجربة أجريت على طلبة جامعيين في سوريا، وجد أن السماح للطلبة باستخدام الإنترنت قد أوقعهم في مهاوي السطحية وإغراء السهولة عندما وجدوا أن المادة المطلوبة متوفرة وجاهزة ومعبأة ومغلفة، وما عليهم إلا أن يقتنصوها، بدلاً من البحث الدؤوب المجهد في المراجع والكتب والدوريات، وذلك لا يعني عدم توفر دراسات متعمقة وقيمة على الإنترنت، ولكنه مؤشر إلى عدم إمكانية الفرز والتصنيف والتقويم، ويؤدي بالباحث إلى الانحراف وراء السهل والمبسط والمختصر.

وفي الجانب الآخر لذلك الكم الهائل من المعلومات هو ما يتم التعاطي معه في الشبكة العنكبوتية في واقعنا الحالي من تشويه للصورة الإنسانية، وذلك من خلال ما ينشر فيها من تهكم بأشخاص واستهانة بعلماء الأمة ومسؤوليها.

أقول ذلك إن شاء الله جازماً بأن محاولاتهم معروفة ومكشوفة للجميع ولن تثني الدولة ولا علماءها ولن توهن من عزائمهم.

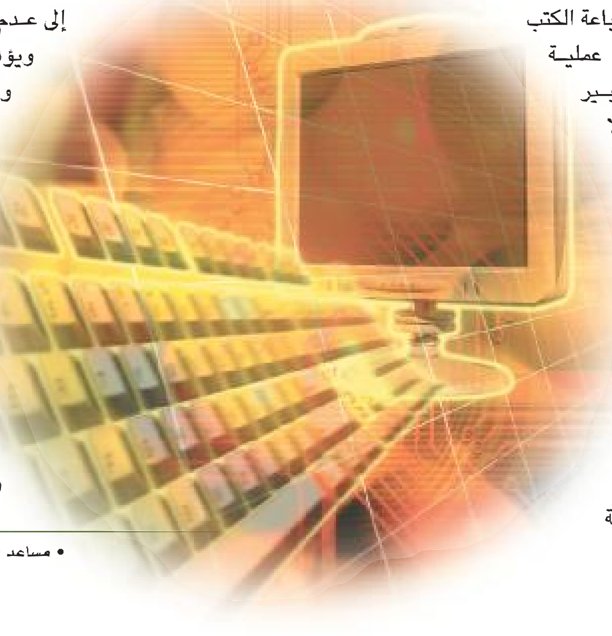

• مساعد مدير إدارة المتابعةوعضو الجمعية السعودية للإدارة